

المنهج الإسلامي للتنشئة العقدية للطفل المسلم

د. نورة إدريس محمد الجراري[*]



المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم النبيين والمرسلين، المرسل إلى الناس كافة مربيا ومعلما وهاديا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

وبعد:

فلقد شاء الله – سبحانه – أن تكون العقيدة روحا للحياة الإنسانية، فما وجد على وجه البسيطة إنسان، ولا جماعة إنسانية إلا وخلفت تراثا عبرت به عن مدى تشوفها وارتباطها بمعتقدها الديني، معبرة من خلاله عن حاجتها لمعبود يحقق أمانها وطمأنينتها

(*) عضو هيئة تدريس بجامعة الجوف – كلية العلوم الإدارية والإنسانية – المملكة العربية السعودية.

وتنتهي إليه محبتها، وكل نتاج الإنسانية كان وليد تأثير قوة العقيدة. وبما أن خيرية وصلاح الأمة الإسلامية مرتبط بقوة اعتقادها، فإن مصدريها- قرءانا وسنة- ضما كل ضمانات ذلك، ومنهج مدرسة النبوة وطدت الطريق وبينت سبله ووسائله.

ومرحلة الطفولة تعد أهم مراحل العمر الإنسانية؛ لأنها المرحلة التي تتشكل فيها شخصية الإنسان عامة، فهي مرحلة بناء الأساس الاعتقادي الإيماني والأخلاقي والنفسي...، وبقدر ما تراعى في هذه المرحلة المحافظة على فطرية التدين، وتثبيت الأسس الإيمانية بقدر ما يحافظ فيها على ضمانات خروج الجيل المؤمن الرباني المحصن ضد أي عقيدة فاسدة أو فكر هدام. وقد حوى المنهج القرآني أسس تنشئة الطفل تنشئة إيمانية، ووضح للقائم على تربية الطفل المراحل التي ينبغي مراعاتها في تنشئته وتربيته على أسس العقيدة الإسلامية، كما أن الشارع الحكيم بيَّن الوسائل المعتمدة في ذلك. وبين الركائز التي على أساسها يحصن الطفل تحصينا إيمانيا في ظل هذه التنشئة.

وفي هذا السياق يندرج هذا البحث الذي جاء بعنوان "المنهج الإسلامي لتنشئة العقدية للطفل المسلم" .

▪ **أهداف الدراسة**: يرتجى من هذه الدراسة تحقيق الأهداف المتمثلة في تعريف المسلم بالمنهج القرآني في تربية الطفل، والمراحل التي ينبغي مراعاتها في تنشئة الطفل على أصول إيمانية، تكفل له حمايته وتحصينه وبيان الوسائل والركائز المتبعة في ذلك.

▪ **منهج البحث**: المنهج المعتمد في البحث هو المنهج الاستقرائي: حيث عمدت الباحثة من خلال هذا المنهج إلى تتبع الأدلة والمبادئ الأساسية للتنشئة العقائدية للطفل، لاستخلاص المنهج الإسلامي في ذلك. كما عملت الباحثة على توثيق الآيات وذكر

محلها ورقمها من السورة، مع تخريج الأحاديث من كتب الصحاح. وذكر الاقتباسات من مصادرها وتوثيقها حسب قواعد التوثيق.

▪ **خطة البحث**: تم تقسيم البحث إلى مقدمة وفصلين ووفي داخل كل فصل مباحثه، ثم الخاتمة، كالتالي:

مقدمة، وفيها أهداف الدراسة، ومنهج البحث، وخطته.

الفصل الأول: **مكانة الطفل في الإسلام**، وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تحديد مصطلحات البحث.
- المبحث الثاني: الطفل في القرآن.
- المبحث الثالث: الطفل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني: **المنهج الإسلامي في التنشئة العقدية لطفل المسلم**، وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مراحل البناء العقدي للطفل المسلم.
- المبحث الثاني: وسائل التنشئة العقدية للطفل.
- المبحث الثالث: ركائز حماية وتحصين الطفل في ظل التنشئة العقدية.

ثم ذكرت الخاتمة ثم قائمة المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * *

الفصل الأول
مكانة الطفل في الإسلام

المبحث الأول: تحديد مصطلحات البحث:

مفهوم المنهج لغة واصطلاحا:

المنهج في اللغة: يطلق لفظ منهج ويراد به عدة معان متشابهة، فقد يراد به الطريق الواضح أو الطريقة الواضحة، أو الطريق المستقيم أو الطريقة المستقيمة.

جاء في لسان العرب المنهج: هو الطريق البين الواضح، ويطلق على الطريق المستقيم، "وفي التنــزيل: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وأَنْهَجَ الطريقُ: وضَحَ واسْتَبانَ وصار نَهْجاً واضِحاً بَيِّناً؛ قال يزيدُ بنُ الخَذَّاق العبدي: ولقد أَضاءَ لك الطريقُ، وأَنْهَجَتْ سُبُلُ المَكارِمِ، والهُدَى تُعْدِي أَي تُعِينُ وتُقَوِّي. والمِنهاجُ: الطريقُ الواضِحُ"(١).

فجملة ما يذكر في بيان معان المنهج لغة هو: أن العرب استخدمته بمعنى الطريق وكذا مترادفاته من السبيل والسنة.

المنهج في الاصطلاح: "هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم. فالمنهج "فن التنظيم الصحيح لسلسة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها

---

(١) لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم، الطبعة الأولى، دار صادر – بيروت، ج ٢ ص ٣٨٣، مادة نهج.

جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"(١).

مفهوم التنشئة لغة واصطلاحا:

التنشئة في اللغة: من دلالات مادة نشأ في اللسان العربي الابتداء والارتفاع، فمنشأ الشيء مبدؤه، ومن ذلك: "نشأ السحاب نشأ ونشوء: ارتفع وبدا، وذلك في أول ما يبدأ؛ ولهذا سمي السحاب نشء حسن يعني أول ظهوره"(٢). إن دلالة مادة نشأ في اللغة تدور معانيها حول الابتداء والخلق والحدوث والتربية، وكل المعاني تتقاطع فيما بينها حول نفس المعنى والمراد. ومن الدلالة اللغوية للتنشئة إذن التربية والتنمية، والتي يدور معناها حول "بلوغ الشيء كماله شيئا فشيئا"(٣).

التنشئة في الاصطلاح: إن من دلالات مادة نشأ في الحقل المعرفي اللغوي دلالة "ربى" وذاك ما أشار له الراغب الأصفهاني بقوله: "فالنشء والنشأة إحداث الشيء وتربيته....قال- تعالى-:﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ ﴾ [الزخرف: ١٨] أي: يربى تربية كتربية النساء"(٤).

فالتنشئة والتربية لفظان مترادفان يراد منهما تنمية ميول وملكات وموروثات الإنسان، وتعديل وإصلاح وتهذيب ما اعوج منها، وإكسابه صفات الخير والكمال في جانبه السلوكي. فالتنشئة في الاصطلاح هي عملية "قائمة على أساس تعديل أو تغيير في السلوك نتيجة التعرض لخبرات وممارسات معينة خاصة بكل ما يتعلق بالسلوك لدى

(١) مناهج البحث العلمي، بدوي عبد الرحمن، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٧، وكالة المطبوعات شارع فهد السالم الكويت، ص ٤.
(٢) تاج العروس من جوهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مادة نشأ.
(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ١٣.
(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة نشأ.

الإنسان"[١] .

٣- مفهوم العقيدة لغة واصطلاحا:

العقيدة في اللغة: مأخوذة من مادة عقد يعقد عقدا، يقال: "عقد الحبل إذا شده وعقد البيع إذا أمضاه ووثقه وعقد العهد واليمين إذا أكدهما ووثقهما"[٢]، كما جاء لفظ العقد للدلالة على إبرام العهود والمعاهدات والمواثيق، في قوله - تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾[٣]. ويقال: اعتقد الشيء صدقه وعقد عليه قلبه واستحكمه، كما يطلق لفظ العقيدة والاعتقاد على التصديق مطلقا، وقيل: الاعتقاد اطمئنان القلوب على شيء ما يجوز أن ينحل عنه جمعه اعتقادات، وربما أطلقت الاعتقادات على ما يعتقد من تعاليم الدين[٤].

فالمفهوم اللغوي لمادة عقد يفيد: الشدة والرباط الوثيق الذي يجمع بين طرفين تجمع بينهما علاقة معينة، بحيث لا تدع مجالا لتطرق الوهم والشك لها، فمادة عقد في اللغة تفيد اللزوم والتأكد والاستيثاق.

العقيدة في الاصطلاح: هو ما يعقد الإنسان قلبه عليه، فهي تفيد التصديق والتيقن والجزم، فهي تمثل حكما جازما يعقد المرء قلبه عليه من غير تردد و لا شك.

فالمعتقد متيقن من صدق تصوراته وأفكاره التي تأتي مطابقة للواقع بحيث لا يترك مجالا لدخول الوهم والشك، "وبهذا تتميز العقائد عن المعارف النظرية لاختلاف الأولى

---

(١) معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة، سمير سعيد حجازي، ص١٨٠.
(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة عقد.
(٣) النساء / ٣٣.
(٤) معجم محيط المحيط، بطرس البستاني، مادة عقد.

عن الثانية في درجة القطع واليقين، ولهذا تؤخذ عن الله ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة"(١)، فالمعتقد موقن بصحة معتقده، متيقن تيقنا جازما بحصوله. فالاعتقاد بالشيء في الاصطلاح هو "الحكم الجازم القابل للتغيير، طابق الواقع أم لم يطابقه، فإن طابق الواقع فهو اعتقاد صحيح، وإن لم يطابقه فاعتقاد فاسد"(٢).

والقرآن الكريم في معرض حديثه عن العقيدة وأمور الاعتقاد، لا يستعمل هذين اللفظين، بل يأتي الحديث عن قضايا الاعتقاد بمسمى الإيمان، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة، ومن ذلك قوله – عز وجل-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾(٣) فمن المعلوم داخل الحقل المعرفي الإسلامي أن كلا من مصطلح العقيدة والإيمان تتداخل معانيها بعضها ببعض، فالعقيدة ليست مجرد أفكار وتصورات نظرية لا صلة لها بالحياة الإنسانية الفردية منها والجماعية، بل تمثل نسقا من البنى الفكرية والتصورات المؤثرة في السلوك الإنساني.

وخلاصة القول: العقيدة هي مجموع المسائل العلمية التي توجه الفكر الإنساني إلى ما ينبغي أن يؤمن به ويعتقده، ويقيم الدليل والبرهان الذي يفيد القطع واليقين.

وعليه فإن المراد من عنوان الدراسة " المنهج القرآني لتنشئة العقدية للطفل المسلم:

(١) مجموعة الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، الجزء ٣ ص ١٤.
(٢) حاشية البناني على شرح جلال شمس الدين أحمد المحلى على متن جمع الجوامع، للإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ج ١ / ص ١٥٣ – ١٥٢.
(٣) سورة الشورى / ٥٢.

الطريقة والأسلوب العلمي لتربية الطفل والناشئ المسلم على أسس عقيدته، فهي عملية تعليم وتقويم له، وتوجيه لسلوكياته نحو ما يراد منه في هذه الحياة التي هي هبة إلهية، فعقيدته تمثل موجها نحو الهدف الأسمى الذي خلق من أجله والذي لأجله حمل الأمانة، والمتمثل في عبادة الله ﷻ حق العبادة، والأدلة على ذلك كثير منها قول الباري – سبحانه –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[1]، بتتبع المنهج القرآني واستقراء واستقاء مراحله ووسائله وركائزه في ذلك.

المبحث الثاني: الطفل في القرآن:

لما كان القرآن الكريم كلام الله ﷻ والمصدر الأول التي تستقي منه أصول الإسلام وشرائعه كان من الأهمية بمكان أن نقف مع آيات الذكر الحكيم، واستخراج الصور التي توضح اهتمامه بالطفولة والطفل، خاصة وأن الله ﷻ كرم بني آدم، فكان لتكريمه الإنسان صور شتى دلت عليها آياته المقروءة والمنظورة، وشاءت حكمته أن يستنير الإنسان في سيره في الحياة بسراج القرآن الذي لا يضل ولا يشقى من اهتدى بهديه.

فما هي صور اهتمام القرآن بالطفل؟

أ – غرس محبة الطفل بفطرة الخليقة:

إن من سعة عظمة الله وشمول علمه، وكمال قدرته أن جعل الإنسان ينتقل في أطوار تخلقه من حال إلى حال، من ضعف إلى قوة إلى ضعف قال – تعالى–: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ

(١) البقرة / ٢١.

﴿مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾[1].

فالقرآن الكريم يبين حالة الضعف الإنساني التي تعتري بدايته في مدارج الحياة، هذا الضعف الذي يرافقه طيلة فترة الطفولة إلى أن يبلغ أشده، وقد شاءت حكمة العزيز – سبحانه – أن يفتح البصائر على افتقارهم وقلة حيلتهم أمام عظمة الخالق وقدرته – سبحانه –، فكانت أولى رحمات الله التي من بها على الكائن الإنساني في مرحلة طفولته، أن جبل القلوب والأفئدة على محبة الطفل ذلك المخلوق الذي يروي حكاية ضعفه وعجزه، والتي هي مثار رقة القلوب اتجاهه وغمره بحنانها والقيام بحوائجه ومتطلباته.

وذلك بأن جعل الله الولد من النعم التي من بها على خلقه ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[2] كما جعله– سبحانه– زينة الحياة الدنيا﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[3]، والذرية من المحبوبات التي تخترق شغاف قلب الخلق يقول الباري– سبحانه–: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[4].

---

(١) الروم / ٥٤.
(٢) النحل / ٧٢.
(٣) الكهف / ٤٦.
(٤) آل عمران / ١٤.

لأن الناس في "تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل، فهو محبب ومزين.. وهذا تقرير للواقع من أحد جانبيه، ففي الإنسان هذا الميل إلى هذه الشهوات، وهو جزء من تكوينه الأصيل...فهو ضروري للحياة البشرية كي تتأصل وتنمو وتطرد...ولكن الواقع يشهد كذلك بأن في فطرة الإنسان جانبا آخر يوازن ذلك الميل ويحرس الإنسان أن يستغرق في ذلك الجانب وحده"(١)، ولذا نبه الشارع الحكيم ضرورة ضبط هذه النـــزعة الغريزية، ووضعها الموضع الصحيح وتسييجها بسياج التهذيب والتربية، حتى لا تنقلب من نعمة إلى نقمة، وهو ما دلت عليه الآية الكريمة ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾(٢)، فكان لزاما على الإنسان الحذر من طغيان عاطفة الحب الأبوي على التوجيه والتسديد المستقى من المنهج الرباني. ومتى تمت مخالفته والتصدية عنه، جعل الأولاد أداة للعذاب والخسران في الحياتين، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾(٣).

ب – الطفل ودعاء الأنبياء:

بين صفحات القرآن الكريم توقف القارئ همسات تضرع الأنبياء لله طلبا للذرية ودعائهم لها، ومن تلك الهمسات ما جاء في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فبعد أن طال الأمد به عليه السلام، و لم يرزق الطفل الذي يملأ حياته زينة وبهجة، دعا الباري – سبحانه –

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، آل عمران / ١٤.
(٢) التغابن / ١٤.
(٣) التوبة / ٥٥.

أن يهبه ولدا من الصالحين ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1]، وتحقق ما صبت له نفس إبراهيم عليه السلام من تحصيل الذرية، فوهبه الله- سبحانه- إسماعيل عليه السلام الذي يخبرنا الوحي أن إبراهيم لم يطب له الفرح والاستمتاع بهذه النعمة طويلا، حيث أوحى الله - سبحانه - لخليله أن يحمل طفله الرضيع وأمه هاجر إلى مكة، ذلك الوادي الذي لا زرع فيه ولا ماء ولا ساكن ولا مسكن، فأخذهما امتثالا لأمر الله وتركهما وقفا راجعا، ولما كان عند التثنية عليه السلام دعا الله عز وجل قائلا: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2]، واستجيب دعاؤه عليه السلام، فنبض الوادي المجدب بالحياة، وفجر الله ماء زمزم وشب الطفل إسماعيل وصار نبيا من الأنبياء، وتحقق لإبراهيم عليه السلام الامتداد الفطري الغريزي كما وتحقق له الامتداد الإيماني العقدي في نسله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ ﴾[3] .

إن منهج الأنبياء - عليهم السلام- في طلب الولد كان بالدعاء لأطفالهم بأن يكونوا من الصالحين العابدين لله عز وجل، المخلَصين من الكفر والشرك ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾[4]، فدعوة النبي

---

(١) الصافات / ١٠٠.
(٢) إبراهيم / ٣٧.
(٣) إبراهيم / ٣٩ – ٤٠.
(٤) إبراهيم / ٣٥.

إبراهيم عليه السلام لبنيه هو النموذج الذي ينبغي الاحتذاء به، حيث كان التجاؤه إلى الله بأن يعصمه وبنيه من الشرك وظلماته وجهالته إلى نور الإيمان بالله وعبادته وتوحيده، والذي به يبلغ الإنسان المعرفة الحقة والطمأنينة والسلامة، وهو الأمر الذي غدا غائبا عن الكثير من أبناء الأمة المسلمة، بأن أصبح طلبهم للولد مجرد شهوة من الشهوات وتكاثر وتفاخر فأصبحت الأمة غثاء كغثاء السيل، همها الكم لا الكيف.

وهذه اللفتة القرآنية في طلب الولد والدعاء له بالصلاح، من الصور الناطقة باهتمام القرآن بالطفل قبل إيجاده، ثم ما ينشأ عليه من تحصيل السعادة به.

ت ــ القرآن وتأديب الطفل:

في رحاب القرآن الكريم لا تجد الاهتمام بالطفل يقف عند زرع محبته بأفئدة الخلائق، ولا هو محصور بطلب الذرية الصالحة، بل الأمر يتعداه إلى إبراز المنهج التربوي الذي ينبغي تمثله في تربية الأطفال حتى يتحقق صلاحهم.

ففي ثنايا الذكر الحكيم توقفك آيات محكمات حول ما ينبغي على الأطفال من واجبات لا تعد تكاليف شرعية، نظرا لأنهم لم يبلغوا سن التكليف، لكنها تساهم في إعداد وتهيئة الأطفال وتمرسهم حول ما يطالبون به من تكاليف عند البلوغ.

فأولى ما يأمر به الطفل عند بلوغه الحلم، وانتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة كعتبة أولى في سن البلوغ، نجد الشارع الحكيم يأمر بالاستئذان في جميع الأحوال والأوقات، يقول العزيز الحكيم: ﴿ **وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾[1] أي: أن "الأطفال إذا بلغوا الحلم تغير حكمهم في

(١) النور / ٥٩.

الاستئذان إلى حكم استئذان الرجال الذي في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾[1]"[2].

لكن الشارع الحكيم قبل أن يكلف الصبي بهذا الحكم فإنه يتدرج به نحوه، إذ يحدد حالات يلزم فيها الطفل الذي لم يبلغ الحلم بالاستئذان وذلك وفق أوقات محددة، فيقول الله – تعالى-: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) ﴾[3]، فالله ﷻ الحكيم العليم يوجه الآباء إلى ما ينبغي غرسه في أطفالهم من آداب فيتأدبوا بذلك بآداب القرآن، ويسهل بعد ذلك مطالبته بالواجبات التكليفية الإلزامية التي يترتب عليها الثواب والعقاب.

وآيات القرآن الكريم ضمت منهجا متكاملا حوى القواعد الأساسية للتنشئة الصحيحة للطفل، وبنائه بناء عقديا أخلاقيا سليما، يشمل كل نواحي وجوانب تأديبه، هذا المنهج الذي جاء في صورة نسق حكائي توجيهي غير مباشر لأب يعظ ابنه نحو ما يجب عليه أن يلتزمه من أصول العقيدة وأصول الأخلاق، هذا الأب الذي مثل نموذج العبد الصالح المؤمن، الذي أراد أن لا يقف امتداده امتداد نسل، بل كان هدفه من تنشئة ذريته أن يحقق بهم الامتداد العقائدي الإيماني الأخلاقي. فيروي لنا القرآن

---

(١) النور / ٢٧.

(٢) التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، النور / ٥٩.

(٣) النور / ٥٨.

قصته التي شملت أصول التربية الفاضلة التي تبلغ رضا الله جلت قدرته.

فكانت أولى تلك الأصول دعوته ابنه لتوحيد الله - سبحانه -، وتنـــزيهه عن الشرك الذي يعد ظلما عظيما،﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[١]، فهو الأصل الذي تتفرع عنه باقي الأصول الإيمانية، والذي منه تستمد متانتها ودوامها وقوتها، إذ كلما صحت الصلة بالله فهما ومعرفة تحقق التنـــزيل الصحيح.

وفي ظل هذه النصيحة الربانية يذكر ابنه بواجبه نحو الوالدين، لما لارتباط برهما بالأصل الأول المتمثل في توحيد الله وتنـــزيهه عن الشرك،﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[٢].

"لكن رابطة الوالدين بالوليد على كل هذا الانعطاف وكل هذه الكرامة، إنما تأتي في ترتيبها بعد وشيجة العقيدة، فبقية الوصية للإنسان في علاقته بالوالدين﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[٣] فإلى هنا ويسقط واجب الطاعة وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة، فمهما بدل الوالدان من جهد ومن جهاد ومن مغالبة ومن إقناع ليغرياه بأن يشرك بالله ما يجهل ألوهيته... فهو مأمور بعدم الطاعة من الله صاحب الحق الأول من الطاعة. ولكن الاختلاف في العقيدة والأمر بعدم الطاعة في خلافها، لا يسقط حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة

(١) لقمان / ١٣.
(٢) لقمان / ١٤.
(٣) لقمان / ١٥.

الكريمة ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾[1]"[2].

ثم يؤكد لقمان في نصيحته لآبنه على قضية الإيمان بالله والرجوع إليه والإيمان باليوم الآخر، والاعتقاد بشمول علم الله واطلاعه على كل صغيرة وكبيرة، وأنه الحكم العدل في جزائه، وإيفائها إلى أصحابها، فعنده – سبحانه – لا يضيع عمل العامل مهما كان حقيرا، في سياق قرآني يحرك شغاف القلب ويجعل الوجدان يتحرك خضوعا لله ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

وبعد أن يقر الإيمان بالله وتوحيده، واليقين في عدالته وقدرته، تأتي الخطوة التالية لتبرهن عن حقيقة هذا الاعتقاد، وتنــزيله على أرض الواقع، في ممارسة إيمانية عملية تعبدية تدل على الخضوع والتوجه إلى الله ﷻ، وذلك بالتوجه إليه ﷻ بالصلاة والقيام بأمر الدعوة وتحمل مشاقها والصبر على تكاليفها ومتاعبها، حيث الطريق يعتريه العقبات والأهوال، لكنه يهون بالتزود بعبادة الله واللجوء إليه، فكل سالك إلى الله طريقه محفوفة بالشوك والأذى فلا بد من الصبر في سبيل دعوة وإصلاح الناس ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[4].

(١) لقمان / ١٥.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، لقمان / ١٤ – ١٥.
(٣) لقمان / ١٥ – ١٦.
(٤) لقمان / ١٧.

ويستمر القرآن في سرد قواعد تربية الجيل المؤمن، كما يرتضيها الله ﷻ وكما حكاها على لسان لقمان الحكيم، ليخلص إلى أن جماع الخير والسعادة تضمها الأخلاق الفاضلة المنبثقة من الاعتقاد الصحيح بالله – سبحانه – وحسن عبادته ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾[(١)].

بإنعام النظر في هذه الوصايا، نرى أنها جملة من القواعد التربوية للتنشئة الصحيحة، حيث شملت على كل ما يجب الحرص على غرسه ورعايته في نفس الطفل، لتخرج منه الإنسان المؤمن الصالح، والتي بها يعد إعدادا صحيحا في عقيدته وأخلاقه.

إن القرآن الحكيم لم يذر صغيرة ولا كبيرة في تنشئة الطفل وتأديبه بآداب الدين وأخلاقه، إلا ووجه إليها ونبه القائمين على رعايته إليها، في أسلوب إيماني يمتلأ بالحب والعطف على هذه البذرة التي تكون بها صلاح الإنسان ومآلاته، وبذا يكون القرآن الحكيم قد سبق بقرون عدة كل الدراسات التي اهتمت بالطفل وكيفية تنشئته، بوضعها مبادئ وقواعد لم تكن بالجديدة، فالمنهج الرباني قد آثار كل ما يهم الطفل في تنشئته.

المبحث الثالث: الطفل في حياة النبي ﷺ

المنهج القرآني في إخراج أمة التوحيد ينطلق من مبدأ شموله لكل مناحي الحياة ومساوقته لمتطلبات الخلق، بناء على تربية الجيل المسلم تربية تنطلق من الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، والممارسة والتطبيق السليم للمنهج القرآني في واقع الحياة، مما جعل

(١) لقمان / ١٨ – ١٩.

من التنشئة الإسلامية تنشئة شاملة لا تقتصر على جانب وتغفل آخر.

والرسول ﷺ كان قرآنا يمشي على الأرض بتمثله للمنهج القرآني في كل دقائق حياته، وقد كان نبينا- عليه أفضل الصلاة والسلام- أشد حرصا في تنشئة الأمة الموحدة تنشئة ربانية قرآنية، وإقامة ركائز الدولة التي تنضوي تحت لوائها بجمع تلك الأمة على أساس قرآني.

فالنبي محمد ﷺ في إنشاء دولة الإسلام، لم يقتصر اهتمامه على طائفة دون طائفة من مكونات المجتمع الإسلامي، بل يشمل كل مكون من تلك المكونات، وهي من أبرز الأسس المنهجية التي تضمن للأمة التمكين والاستخلاف في الأرض. والأطفال من أهم الفئات التي أولاها النبي ﷺ عنايته في التنشئة على قواعد الإسلام.

وحياة النبي ﷺ تضم بين جنباتها مواقف تربوية، تبرز المكانة الهامة للطفل في حياته ﷺ كبشر يحمل بين أضلعه حنان الأبوة، وكرسول مكلف بواجب التبليغ عن الله، وإثبات قواعد الدعوة الإسلامية.

فمواقف النبي ﷺ اتجاه صغاره من أبناء وبنات، واتجاه صغار المسلمين، تعد مرتكزات في عملية التنشئة القويمة للطفل المسلم، وقد ضمت سنة النبي ﷺ أحاديث وأفعال أبرزت مكانة الطفل من حياته ﷺ، كما وبينت أصول التعامل والتربية الصحيحة لهذه الذرة الغالية، ومن أهمها يذكر:

يقرر النبي ﷺ مكانة الطفل وأهمية الاعتناء به في المجتمع المسلم، بأن أوصى نبينا ﷺ بمعاملة الطفل اليتيم بالحسنى، وربط خيرية بيوت المسلمين بمن يكرمه، ورتب على ذلك الإكرام الجزاء الأوفى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**خير بيت**

في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين (يشير بأصبعيه)"(١).

ووردت أحاديث عدة تظهر وتؤكد على ما ينبغي أن يناله الطفل من اهتمام وتربية في الأسرة، خاصة الأبوان المكلفان بإحسان تربيته والإحسان إليه، وإفراغ الوسع للقيام بكل ما يلزم لإصلاحه، مع تبيين ما يترتب على ذلك من الأجر والثواب، وعن أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: "**ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**"(٢) جاء في الفتح في شرح قول النبي ﷺ "**بفضل رحمته إياهم**". "أي: بفضل رحمة الله للأولاد، وقال ابن التين: قيل إن الضمير في رحمته للأب لكونه كان يرحمهم في الدنيا فيجازى بالرحمة في الآخرة"(٣) فكان من منافع الولد أن شملت رحمة الله إياه رحمة والديه.

ومن المواقف التربوية التي علم من خلالها النبي ﷺ صحابته وأمته من بعده، قاعدة تربوية مهمة غفل عنها الكثير من المسلمين، تبعا لتخلف عن الأخذ بمنهج الله في الحياة.

هذه القاعدة التي تهدف إلى بناء نفسية الطفل بناء سليما، حيث يلحظ أن التعامل

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب خير بيت فيه يتيم يحسن إليه، حديث رقم ١٣٧. وابن ماجة كتاب الأدب، باب حق اليتيم حديث رقم ٣٦٧٩. وصححه الألباني في كتاب صحيح الأدب المفرد.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب وقول الله ﷻ: {وبشر الصابرين}، حديث رقم ١٢٤٨، وابن ماجة كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من أصيب بولد، حديث رقم ١٦٠٥.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد بن عبد الباقي، مج ٣ ص ١٥٦.

مع الصغار في أوساط المجتمعات المسلمة، يعتمد على فكرة أن الطفل لا بد له من الانصياع للقواعد التي يقررها المجتمع، وإن كان فيه إجحاف وظلم، انطلاقا من مبدأ أنه صغير لا يدرك ولا يعي ولا يفهم، لكن الحادثة التالية تبين ما حبي به الصغار من قدرة على الإدراك والفهم وما يترتب على كل أمر، كما وأنها دعوة للكبار لملازمة مراعاة نفسية الطفل. فعن سهل بن سعد ﷺ: "**أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدا، قال: فتله رسول الله ﷺ في يده**"(1).

ففي الحادثة هذه وضع الحبيب ﷺ أصلا هاما من أصول التعامل مع الطفل، المؤسس على مبدأ احترام شخصيته وإحقاق حقوقه الاجتماعية التي شرعها الدين الحنيف، فالنبي ﷺ يمثل قائد ورئيس الدولة، يسأل الصبي ويستأذنه في أن يتنازل بحقه لهؤلاء الأشياخ، المتقدمين عنه في العمر ولمكانتهم، لكن الصبي يأبى لا تعنتا بل رغبة في أن لا يستأثر أحد قبله ببركة الرسول ﷺ فيسلم حبيبنا ﷺ الإناء دون غضب أو إماء بعدم الرضا وبلا زجر أو ملامة من أحد.

إن تربية الطفل والتعامل معه كما كان في فعل النبي ﷺ، يشيع في نفسه الثقة بالمنهج الإسلامي الذي يراد منه الإيمان والتمسك بثوابته أولا، ثم يقوي بالطفل ثقته بنفسه وذاته وبمحيطه الذي هو جزء منه.

لم تكن مواقف الرسول ﷺ اتجاه الأطفال، مواقف الحنو والعطف والمداعبة، بل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب هل يستأذن الرجل من عن يمينه من الشرب ليعطي الأكبر، حديث رقم ٥٦٢٠. وكتاب المظالم، باب إذا أذن له أو أذن له أو أحله ولم يبين كم هو، حديث رقم ٢٤٥١. وكتاب الهبة، باب هبة الواحد للجماعة، حديث رقم ٢٦٠٢.

شملت كذلك مواقف توجيهية وتأديبية لهم، عطفا على تعليمهم مبادئ الإسلام وأصوله ومبادئه الأخلاقية الواجبة في حق كل مسلم. فعن ابن عباس ﷺ قال: "**كنت رديف رسول الله ﷺ يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**"(١). فالنبي ﷺ يزكي في نفس ابن عمه الصغير جانبا مهما ألا وهو العقيدة، بتعليمه التعلق بالله ﷻ وقطع جميع العلائق دونه - سبحانه -، والتمسك بمنهجه واستحضار مراقبته لله في كل حال. وتعليمه ﷺ وتوجيهه للأطفال، كان يعتمد فيه على أساليب سلسة مرنة تخلد بالدهن والقلب.

* * *

(١) أخرجه الترمذي، كتاب صفة يوم القيامة والرقائق والورع، باب ٥٩، حديث رقم ٢٥١٦، وقال: حديث حسن صحيح.

الفصل الثاني

المنهج الإسلامي في التنشئة العقدية لطفل المسلم

إن اهتمام الإسلام بالطفل والمكانة التي يحظى بها في ظل المنهج الإسلامي، ليبرز الأثر الكبير للطفل داخل البنية المجتمعية الإسلامية، فإذا كان الطفل هو رجل المستقبل، والطاقة التي يعتمد عليها في تركيز قواعد وتحقيق بقاء الأمم، فالذرية في المعتقد الإسلامي لا تقتصر على الامتداد التناسلي لسلالة البشرية، بل هي استمرار عقائدي إيماني للدعوة الإسلامية، وهو مقتضى قول الباري ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤** ﴾[1]، "وهذا هو الشعور الفطري الإيماني العميق، شعور الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله، وفي أولهم الذرية والأزواج"[2].

وكلما ارتبطت قرة العين بالطاعة تحققت الأهداف الكبرى للتنشئة الإيمانية، وتم بلوغ الغاية من خلق الإنسان، ذلك لأن الطفل يعد رصيدا فطريا تقوم عليه قواعد الدين الإسلامي، وهو ما عبر عنه نوح عليه السلام حين دعا على قومه بالهلاك، حين أيقن من انعدام الرصيد الفطري الإيماني واندثاره في عقبهم، فقال عليه السلام: ﴿ **وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧** ﴾[3].

---

(١) الفرقان / ٧٤.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، الفرقان / ٧٤ .
(٣) نوح / ٢٦ – ٢٧.

وخلافا لموقف نوح عليه السلام، نجد النبي ﷺ تمتلئ نفسه وقلبه أملا في ذرية قومه، بعد سؤال ملك الجبال بأن يأمره فيطبق عليهم الأخشبين في حادثة الطائف، فيرده ﷺ بقوله: "**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**"(١).

ومن كلا الموقفين يتأكد أمر آخر، وهو أن الاستمرار البشري، قائم ومرتبط بالاستمرار الفطري التوحيدي، وبقاء الحياة مرتبط بوجود الإيمان بالله عز وجل وإقامة منهجه، طبقا لدلالة قول النبي ﷺ: "**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع**"(٢)، فالقيامة لا تقوم إلا بعد أن يستحيل الإيمان كفرا، ولا يملأ الدنيا إلا كافر ابن كافر، وتنعدم الفطرة، وتصير الذرية كذرية أولاد نوح عليه السلام.

ولما كانت مرحلة الطفولة الفترة الأساس في تثبيت دعائم العهد والميثاق الذي قطعه بني آدم على أنفسهم وهم في عالم الغيب ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾**﴾(٣)، فكل مولود إلا ويولد على خلقة وهيئة أودعها الباري عز وجل في نفسه، تكون مهيأة ومعدة لمعرفة الله والاستدلال على ألوهيته.

ولما كانت الفطرة مهيأة للإيمان والاعتقاد قابلة للتدين، فإنها في الآن ذاته قد يعتريها

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذ قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر ما تقدم من ذنبه، حديث رقم ٣٢٣١. ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، حديث رقم ١٧٩٥.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ٣٧، حديث رقم ٢٢٠٩.

(٣) الأعراف / ١٧٢.

الفساد والانحراف في ظل تأثير البيئة المحيطة بها **"ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء"**(1)، وحماية المكون الفطري للطفل وتحصينه من كل شائبة قد تحيد به عن الاعتقاد الصافي السليم، نجد في طيات المنهج الإسلامي دعامات أساسية يقوم عليها البناء العقدي للطفل، مراعية في ذلك مبدأ التيسير وسهولة عرض أصول العقيدة الصحيحة، وتقريبها للطفل حسب ما يساوغ فطرته السليمة، نائية به عن كل قضايا الاعتقاد المعقدة التي لا فائدة ولا جدوى من ورائها.

المبحث الأول: مراحل البناء العقدي للطفل المسلم

١. المرحلة التكوينية الأولى: مرحلة التلقين والتلقي.

يعتمد أسلوب التلقين لتنشئة الطفل عقديا، في الفترة الممتدة ما بين بداية السنة الثالثة ونهاية السنة السادسة أو ما اصطلح على تسميته في علم نفس التربية بمرحلة الحضانة.

واعتماد طريقة التلقين والتلقي خلال هذه المرحلة لبناء شخصية الطفل بناء عقديا يرجع إلى النقاط التالية:

أولا – في مرحلة الحضانة تبرز للطفل قدرات على الإدراك والفهم واكتساب العادات الاجتماعية، وهي مرحلة إعراب اللسان وقدرته على الحديث واللغة، والتعبير

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم ١٣٥٨. وفي كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله، حديث رقم ٤٧٧٥. ومسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث رقم ٦٦٩٧، والترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم ٢١٣٨.

عما يجيش بذاته.

ثانيا – في هذه المرحلة تتسم أفعال الطفل بالتقليد والمحاكاة للقائمين على رعايته وتربيته، فيؤثرون في سلوكه وأخلاقه ومعتقده خاصة الأبوين، وهو منطوق قوله ﷺ: **"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أينصرانه أو يمجسانه.."**.

ثالثا – لأنها طريقة النبي ﷺ في تلقين الطفل الشهادتين، فعن أبي رافع عن أبيه قال: "رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة"(١)، فخير هدي يهتدى به هدي النبي ﷺ، وفعله هذا ﷺ إشارة لما لتلقين الطفل من أثر في تثبيت عقيدة الإيمان بنفسه خلال مرحلة الحضانة.

والبناء العقدي للطفل خلال مرحلة التلقين والتلقي، يرتكز على ترسيخ القدرة الكامنة في جوانب الطفل والتي تعرفه على الله دون حاجة إلى وسيط، هذه القدرة تعتمد كتربة يغرس فيها كل أصول العقيدة الصافية الصحيحة، على أن "تلقين العقيدة يقوم تربويا على الثقة في عقلية الطفل إلى درجة القدرة على التجريد المعنوي للحقائق، فيكون الطرح العقدي البسيط على الطفل، لأن الثقة لا تعني التعقيد في المضمون أو الأسلوب"(٢) بل لا بد من البساطة والنوء عن التعقيد وتصعيب المفاهيم عن إدراك الصغير.

ودليل تبسيط وتسهيل العقيدة للطفل يتجلى في الحديث الذي رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن رجلا من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ بجارية له

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الأضاحي، باب الآذان في أذن المولود، حديث رقم ١٥١٤، وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) بيت الدعوة، رفاعي سرور، ص ٦٥.

سوداء، "فقال: يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة، فإن كنت تراها مؤمنة أعتقها، فقال لها رسول الله ﷺ: **أتشهدين أن لا إله إلا الله؟** قالت: نعم، قال: **أتشهدين أن محمدا رسول الله؟** قالت: نعم، قال: **أتوقنين بالبعث بعد الموت؟** قالت: نعم، فقال رسول الله ﷺ: **اعتقها**"(١).

ومن أهم ما ينبغي التنبه إليه عند العناية بغراس العقيدة الصحيحة خلال مرحلة التلقين، إبعاد الطفل عن كل قضايا الخلاف والنـــزاع التي صاغت مباحث العقيدة لعهود، فتعريض الطفل لمثل هذه الخلافات العقدية تكون بمثابة السهم المسموم الذي يصيب قلبه وعقله، فيؤثر في معظم جوانب شخصيته كما وتكون السبيل لشتاته وتمزيقه وجدانيا وعقليا وفكريا وأخلاقيا، ومثل هذه الخلافات إن لم يوجد لها إجابة وحلا في صغر الإنسان، فإنها ترافقه وتطفو في صورة شك وتعنت نحو ألوهية الله وتوحيده متى وجد لذلك سبيلا.

■ **الأسس المنهجية في تلقين وتلقي العقيدة لطفل في مرحلة الحضانة:**

أ – **تقوية الإرادة الإيمانية:** أولى أساسيات التنشئة العقدية في تلقين الطفل مبادئ العقيدة وأصولها الصحيحة، يتمحور حول تقوية الإرادة الاعتقادية للطفل، حيث لا يكفي مجرد تلقين الأدلة في شكل أحاديث وسرد لها، بل لا بد من تقوية الإرادة الإيمانية وحمايتها، فإذا كان كل طفل يحمل رصيدا فطريا، فذلك لا يكفي في تلقينه العقيدة وتثبيتها، بل لابد من تقوية نوازع الإيمان بنفسه؛ لأن إحساسه بالحاجة للإيمان لا تفي بالمطلوب، بل يجب أن ينتقل هذا الإحساس إلى ضرورة لا تستقيم الحياة دونها.

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب العتق والولاء، باب ما يجوز من العتق من الرقاب الواجبة، حديث رقم ٢٢٥٢.

وهنا تظهر أهمية القائم بالتربية والدور المهم الذي أنيط إليه، المتمحور حول تقوية الإرادة الإيمانية للطفل، بتمكينه من أدلة الإقناع المختلفة كسبيل أول، ثم اعتماد اللين واللطف والحنان وخفض الجناح لتأثير في الطفل ومناقشته، خاصة وأن المرحلة التلقينية هي مرحلة الأسئلة اللامتناهية للطفل حول كل ما يجول بفكره وكل ما يستصعب عليه فهمه، ومما يستدل به على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ **ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ** ﴾(١)، فإذا كانت هذه النصيحة الربانية لدعوة من أشرب قلبه الكفر والضلال، أفلا يكون من الأولى اتخاذها منهجا للبناء الإيماني لفلذات الأكباد وقرة الأعين، في زمن غدا تقوية المناعة الصحية والجسمية والمادية في تنشئة الطفل، مقدما على تقوية المناعة الإيمانية الاعتقادية، فهل للأجسام والعقول حياة إذا تلاشت قوة الروح والإيمان؟

ب – التوجيه إلى جوانب العقيدة الصحيحة الإيجابية المؤثرة: في مرحلة التلقين تعتمد التنشئة العقدية، توجيه الطفل إلى جوانب العقيدة الصحيحة الإيجابية المؤثرة في سلوكه، ومن تلك التوجيهات:

١. توجيه الطفل لتوحيد الله: فبغير الإيمان بوحدانية الله تضطرب كل المبادئ ولا تغدو هناك حقائق، فالتوحيد هو الحقيقة التي تنبثق منها كل الحقائق، فهو نظام الحياة ونهج للسلوك وعليه يقام الكون، لأجل ذلك يتضح أهمية توجيه الناشئ إلى توحيد الله ﷻ وتثبيت فطرته على الإيمان به، وتلقينه أن الحياة قائمة على توحيد الله، فمتى بقي نور التوحيد قائما في قلب العبد تحققت له سعادتي الدنيا والآخرة، ومتى طفئ أو

---

(١) النحل / ١٢٥.

خفت نوره لم يكن ذلك إلا مدعاة لكل شر ومجلبة لكل سوء عاجلا وآجلا، وصفاء إيمان الطفل من الشرك، يكون بتفتيح قلبه وعقله نحو معرفة الله ﷻ الخالق البارئ الرزاق المدبر لهذا الكون، الذي خلق كل شيء من أجل الإنسان، وجعل خلق الإنسان لعبادته – سبحانه –.

ويكون ذلك بتوجيهه إلى الآيات الدالة على صفات الألوهية، ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾** ﴾[(١)]، وتقريب دلالتها بتتبع آثارها في آفاق الكون الفسيح، فيجعل تلقينه لصفات الله وعظمته مؤسسا على التلقين الغيبي النظري المستدَل عليه في آيات الكون ودلائل خلقه للكون. وتلقين معرفة الله ﷻ بإحصاء أسمائه وصفاته الدالة على قدرته – سبحانه – وعظمته، تجعل القلب يمتلئ حبا وتعظيما لله ﷻ وانقطاعا وخضوعا إليه، كما وتكون قوة دافعة للنفس للترقي في مدارج الكمال، والتحلي بخصال الخير كلها، والتنـــزه عن رذائل الأخلاق وفاسدها.

٢. توجيه الطفل إلى محبة النبي ﷺ ورسل الله – سبحانه –: ففي منهج التنشئة العقدية الأخلاقية ينبغي غرس محبة النبي ﷺ في قلب الصغير، وتلقينه أن الإيمان به واجب وأنه خاتم "النبيين، لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين"[(٢)].

فتوجيه الطفل وتعويده وتلقينه محبة النبي ﷺ له أثر كبير في تقوية إيمانه وتمسكه

---

(١) البقرة / ٢٥٥.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص ١٦.

بأصول العقيدة الصحيحة، ذلك أن تلقينه الإيمان بمبعثه وبرسالته يوجب الإيمان بالملائكة المبلغين لوحيه وبالرسل المخبر عنهم والإيمان بالكتب، وكل ذلك إيمانا بما بلغه عن رب العزة، فمحبة الله توجب محبة رسوله ﷺ ومحبة ما أمر بتبليغه.

وتوجيه الصغير للاعتقاد بدعوة النبي ﷺ ومحبته، "لها قيمة تربوية عليا؛ لأنها تحمي الشخص المسلم من التيه في مرحلة اختيار المثل... فيمنعه ذلك أن يتأثر بأي شخصية أخرى مهما بلغ شأنها، ويصبح رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة، ولعل النص القرآني في التعقيب على التأسي برسول الله هو الذي يحدد العلاقة بين هذا التأسي وبين الغاية النهائية للمسلم، وهي الله واليوم الآخر، فقالت الآية: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾** ﴾[١]"[٢].

٣ . توجيه الطفل إلى الإيمان باليوم الآخر: تلقين الطفل أن بعد الحياة الدنيا حياة أخرى، حياة حقيقية سعيدة وبأنها حياة المؤمنين المتقين، الذين آمنوا بالله وأطاعوه واتبعوا رسوله ﷺ، وأن الجزاء فيها تابع لأعمال العباد فإن هم أحسنوا في الحياة الدنيا كان لهم نعم الجزاء والثواب، وإن كانت حياتهم في الدنيا مبناها الإفساد والضلال كانت الآخرة لهم بئس الدار.

لأن توجيه الطفل في مرحلة التلقين إلى الإيمان بالله وبرسوله، لا تتأتى الغاية من وراء تقويته وتنميته، إلا بتفتيح نفس الصغير إلى ما يترتب على هذا الاعتقاد من جزاء، فالنفس البشرية تتشوق للخير وتتشبعه متى تبدى لها الجزاء المستتبع لها؛ ذلك لأن

---

(١) الأحزاب / ٢١.

(٢) بيت الدعوة، رفاعي سرور، ص ٦٦.

"الجزاء الذي سيجده الإنسان أمر ضروري يقتضيه المنطق الفطري والعدالة الإنسانية والإلهية"[(١)].

٢. المرحلة التكوينية الثانية: مرحلة التعليم والتبصير.

وتخص هذه المرحلة- المرحلة الثانية من المرحلة الإعدادية- في التنشئة العقدية، والتي اصطلح على تسميتها بمرحلة التمييز، وكما مر بنا فهذه المرحلة لها خصائص ومميزات تظهر في نمو الطفل خاصة الجانب العقلي منها؛ لذا فإن المنهج الإسلامي في التنشئة العقدية لهذه المرحلة يعتمد على مبدأ التعليم والتبصير؛ وذلك لما يعرفه العقل من نضج كما تتطور مقدرة الطفل على البحث عن حقيقة الأشياء وأسباب وجودها، ورغبته الوصول إلى الفائدة والحكمة من وجودها، ثم هذه المرحلة هي مرحلة التكوين والتأسيس المعرفي والتطبيقي لأصول المعارف، فطفل هذه المرحلة يبدأ عملية التعليم الأساسي، فيتعلم القراءة والكتابة وتقدم له مبادئ العلوم التي سترافقه في مسار حياته، كما أنه ينفتح بشكل أكبر على المحيط الخارجي الذي سيغدو منهل آخر سيؤثر في تكوين شخصيته.

لذا فإن المنهج الذي ينبغي تتبعه في مرحلة التعليم والتبصير يعتمد على الأساسيات التالية:

- **الأسس المنهجية في تعليم وتبصير العقيدة لطفل مرحلة التمييز.**

أ – تكوين العاطفة الإيمانية: فتكوين العاطفة الإيمانية يشكل قوة نابعة عن الاستعداد العقلي نحو موضوع الاعتقاد بالله وتوحيده، حيث تصبح قدرة تحكم

(١) علم النفس التربوي في الإسلام، مقداد يالجن ويوسف القاضي، ص ٢٥٠.

وجدان ونفس الطفل، وتدفعه هذه العاطفة لتشبث بالمبادئ الاعتقادية لدينه على مستوى وجدانه ونفسه، ثم بتوجهه نحو السلوك الأخلاقي الذي تقويه هذه العاطفة، وتحفظه في الآن ذاته من تخطي الحدود التي تكون المسلك لفساده الأخلاقي المخالف لمرتكزات اعتقاده.

وتكوين العاطفة الإيمانية في التنشئة العقدية الإسلامية، يتم بواسطة إثارة عقل الصغير ووجدانه إلى التفكر في النعم الملموسة التي يمتلكها، فإثارة عقله نحوها تتلوه خطوة ثانية تتمثل في دفعه إلى التفكير في المنعم الذي وهبها، فمن مسلماتها تقوية محبة الله، والتي بدأ في غرسها وحوطها بالرعاية في المرحلة السابقة، لكن في هذه المرحلة لا يظل الأمر يقتصر على مجرد التلقين والغرس، بل يهدف من ورائها إلى السير بالصغير إلى درجة بلوغ اليقين والثبات.

ب – تقوية الارتباط بالمصدرية الإسلامية: فتعليم الصغير في هذه المرحلة على أساس المرجعية الإسلامية من قرآن وسنة نبوية، باعتبارهما المصدران الذي يؤخذ منهما أصول الدين والاعتقاد ومبادئ الأخلاق، فقد كان دأب النبي ﷺ ترسيخ الارتباط بالقرآن في نفوس الصحابة – رضوان الله عليهم – فلم يكونوا يعتمدون في ترقيهم في مدارج الدين الحنيف وتزكية نفوسهم، إلى شيء غير الكتاب والسنة.

ت – التكوين الإيماني لعقل الطفل: يقصد من وراء هذا التكوين العقلي للطفل إعداده ليكون قادرا على تطبيق وتمثل المفاهيم الإيمانية الأخلاقية من مصادرها، والتي يتوصل لها بالنظر والتفكر، وهو المنهج الذي نشأ عليه جيل الصحابة- رضوان الله عليهم-، حيث كانت طريقته ﷺ في بناء الأصول والمفاهيم، ترتكز على إعمال

الجانب العقلي للفرد منهم، ودفعهم إلى التفكير وإعمال العقول للوصول إلى العديد من المفاهيم، وهو ما دلت عليه العديد من النصوص الحديثية التي بنيت على إثارة سؤال يوجه إلى الصحابة، ومن تلك النصوص ما رواه عبد الله بن عمر حيث قال: **"قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هِيَ النَّخْلَةُ"**(1).

لذلك كان مما ينبغي التنبه له خلال هذه المرحلة الأخذ بيد الصغير ومساعدته وتوجيهه لإعمال قدرته على التفكير، حتى يصل إلى إجابات توافق قدرته العقلية فإما يقر عليها أو تصحح له، فهذه الركيزة تساهم في إعمال الصغير فكره، وتدريبه على واجب التفكير الشخصي، وتقوية ثقته في المقدرة العقلية التي وهبها الباري إياه، والتي تبين له أن مهمتها الفهم والاستنباط.

وبذا تكون أعظم المقاصد المرتجاة من هذه الركيزة في مرحلة التعلم والتبصير، هي "محاولة اكتشاف مواهب الفرد وطاقاته الذاتية، لتطويرها، قصد إنتاج الشخصية الإسلامية الفعالة"(2).

ث – التبصير بالحقائق الإيمانية: وردت نصوص قرآنية عدة تدعو إلى ضرورة إظهار الحق والدعوة إليه، ولم يقف الأمر لمجرد ذلك، بل ألزم الدعوة إليها بالبصيرة يقول الله – تعالى-: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ**

(1) أخرجه البخاري، في كتاب العلم، باب الحياء في العلم، حديث رقم ١٣١.
(2) التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، فريد الأنصاري، ص ٣٤.

﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾(١)، وقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾(٢)، وفي التحرير والتنوير جاء تعريف البصيرة بأنها: "العقل الذي تظهر به المعاني والحقائق، كما أن البصر إدراك العين الذي تتجلى به الأجسام، وأطلقت البصائر على ما هو سبب فيها"(٣).

لذا نجد من أساسيات منهج التنشئة العقدية الأخلاقية، تكوين بصيرة إيمانية للطفل، وذلك بإتباع سبيل التبصير في إقامة الحجج على الحقائق الإيمانية، وتوضيح مآلاتها، حتى يكون بناء إيمانه على صرح متين لا تؤثر به عوائد الدهر؛ لأن "تعقل المبدأ أو المبادئ دافع إلى التمسك بها وعدم تعقلها سبب إهمالها وتركها ولهذا قال أهل النار: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ﴾(٤)"(٥).

إن الغرض المراد تحققه خلال مرحلة التعليم والتبصير في منهج التنشئة العقدية الأخلاقية، هي تثبيت وترسيخ المفاهيم التي تلقها الطفل في مرحلة التلقين، وذلك بكشف معانيها ومراميها والتبصير بحقائقها، رويدا رويدا حتى يصل إلى الإيمان الراسخ والاستقرار العقدي، ففي هذه المرحلة تتضح للطفل العديد من القضايا المرتبطة بالعقيدة، كحقيقة الألوهية والبعث والحساب، والملائكة والرسل، متى وجد لذلك السبل الصحيحة لبلوغها، ووجدت البيئة والوسط السليم القائم على توجيه الصغير لها.

(١) يوسف / ١٠٨.
(٢) الأنعام / ١٠٤.
(٣) التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الأنعام / ١٠٤.
(٤) الملك / ١٠.
(٥) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، ص ٥٤٣.

المبحث الثاني: وسائل التنشئة العقدية للطفل المسلم

إن عملية تنشئة الطفل تنشئة العقدية في ظل المنهج الإسلامي، له وسائل تساهم في تحقيق وبلوغ الأهداف المتوخاة من ورائها، وهذه الوسائل عامة يمكن أن تستثمر حسب الظروف المساوقة لعملية التربية وكذا المواقف المستهدفة من وراء تنشئة إيمانية.

وتمثل هذه الوسائل جملة من الأنشطة والآليات والإجراءات التي يتبعها القائم على تربية الصغير سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، والتي يتوخى من خلالها التأثير في وجدان وعقل الطفل، والتي يكون لها آثار قوية في ترسيخ الأصول الإيمانية عنده وترجمتها بشكل تطبيقي عملي.

وهذه الوسائل المعتمدة مستمدة من منهج القرآن والسنة في تربية الإنسان، وتوجيهه إلى المنهج الرباني وأهم هذه الوسائل:

***القدوة**: تعد القدوة في تنشئة الطفل المسلم تنشئة عقدية من أجدى الوسائل نفعا، فمن "السهل تأليف كتاب في التربية! ومن السهل تخيل منهج وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول...ولكن هذا المنهج يظل حبرا على ورق، يظل معلقا في الفضاء...ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ فقط يتحول المنهج إلى حقيقة ويتحول إلى حركة، ويتحول إلى تاريخ"[1].

وإن وجود القدوة مطلب إنساني؛ ذلك لأن الإنسان خلق وبكوامن نفسه ميلا إلى الاقتداء، ثم هو في حاجة دائمة لإيجاد النموذج الذي يترجم ويطبق العديد من المبادئ،

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص ٢٢١.

ويتمثل فيه الكثير من المفاهيم في شكل الممارسات والتطبيقات المنبثقة من أصول اعتقاده، وفي شكل فضائل سلوكية تقرر امتلاك الإنسان طاقات وقدرات تساعده على تحقيق المنهج، ومن أهم قواعد الإسلام أن قام على أساس التطبيق السليم، المؤسس على مبدأ التيسير والتكليف بما يطاق، فكانت القدوة التي حققت منهج الله، وأثبتت قطعية تحققه في قدوة بشرية تحمل نفس القدرات الإنسانية ولا تعتمد على الخوارق، لها نفس المطالب والاحتياجات الإنسانية، قدوة أصلها التراب لكنها مرتبطة بالسماء، إنها "أكبر قدوة بشرية اجتمعت فيها صفات الكمال وإيحاءات التأثير وأعظم شخصية تمثلت فيها تعليم القرآن الكريم والتزمت أحكام المنهج الإسلامي المتكامل"[(١)] إنها شخصية النبي محمد ﷺ الذي اصطفاه الباري – سبحانه –، ليكون الصورة الكاملة الحية الخالدة لكل أجيال الأمة المسلمة والقرآن الكريم يركز على هذه الوسيلة، ويؤكد عليها تأكيدا قويا، وذلك لما لها من التأثير على الإنسان عامة والطفل خاصة، لينشأ وقد تشرب أصول العقيدة الإسلامية ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾**﴾[(٢)].

وتكمن أهمية القدوة كوسيلة من وسائل التنشئة العقدية للطفل؛ إذ الطفل في هذه المرحلة يملأه الشغف والرغبة في تقليد ومحاكاة من يحب، والتي تصدر من غير قصد مسبق، بل تتم بشكل لا واعٍ دافعه الإعجاب، سواء تعلق الأمر بمحاكاة ما استحسن

---

(١) ثقافة الطفل المسلم، مفهومها وأسس بنائها، أحمد عبد العزيز الحليبي، إشراف: محمد رأفت سعيد، ص ٢٣١.

(٢) الممتحنة / ٦.

أو ما استقبح من الأفعال، خاصة في مرحلة التلقين، فالطفل يقتدي بمن يربيه في كل شيء دون محاولة استيعاب وتحليل ما يقلده بل يأخذها على أنها من المسلمات.

في حين أن الطفل في مرحلة التعليم والتبصير، يبدأ بعملية استرجاع وتحليل تصرفات وأقوال من هم قدوة له، والقدوة في هذه المرحلة لا تعد تقتصر على الوالدين، بل تتسع لتشمل غيرهما من المساهمين في عملية تنشئته، إلا أن الطفل يظل المؤثر فيه ضمن كل القدوات والديه، وهو دليل قوله ﷺ: "**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**"(١). ذلك أن الوالدين يظلان الأكثر تأثيرا في بناء قناعات طفلهما الاعتقادي؛ لذا من الواجب على الأبوين تمثل مبادئ الإيمان وفضائل الأخلاق في حياتهما، والاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك، وأن تظل مجرد مبادئ مثالية تفتقد إلى الروح، وهو ما يحفز الطفل ويشجعه على إمكانية تحققها، لأن شاهد الحال أقوى وأبلغ تأثيرا من شاهد المقال.

فالقدوة في التنشئة العقدية تبقى من أقوى الوسائل، في إقامة صرح العقيدة وإرشاد قواعد الأخلاق الإيمانية للطفل، وبناء الأجيال المؤمنة المهتدي بهدي منقذها محمد ﷺ.

***توجيه الطاقة**: من وسائل التنشئة العقدية الإسلامية توجيه الطاقات الفطرية- التي يخلق الإنسان وهو مزود بها- توجيها سليما، حيث تساعد هذه الوسيلة في بناء عقيدة الطفل المسلم، وانتفاعه بها أثبت وأقوى في العبودية لله وتفريده بالتوحيد، ووصفه بكل

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم ١٣٥٨. وفي كتاب تفسير القرآن، باب لا تبديل لخلق الله، حديث رقم ٤٧٧٥. ومسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث رقم ٦٦٩٧، والترمذي، كتاب القدر ، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم ٢١٣٨.

صفات الكمال، وتنــزيهه عن كل صفات العيب والنقص، وهو ما يوجهه إلى محبة الخير وتعشقه، وكراهة الشر ودفعه. ذلك أن "الطاقة التي يفرزها الكيان الإنساني من تلقائه.. ويجمعها الإسلام...هي طاقة حيوية محايدة تصلح للخير وتصلح للشر، تصلح للبقاء وتصلح للهدم، كما يمكن أن تنفق بدءا بلا غاية ولا اتجاه"[(١)].

وأهم الطاقات التي ينبغي توجيهها توجيها صحيحا ومتدرجا، واستثمارها في تقوية الشعور الإيماني للطفل، طاقة الحب والكره والخوف، هذه الطاقات تمثل عواطف تنجذب إلى ما يثيرها ويقويها بالنفس، فعاطفة الحب تظهر عند نعومة أظافره، إثر ما يلقاه من عطف وحنان وعناية من قبل والديه، فيحبهما مقابل ما يبدلانه من جهد في سبيل حمايته وإسعاده خاصة الأم؛ لذلك كانت هذه القوة مطلبا فطري أقره الإسلام، إلا أنه في الحين ذاته دعا إلى ضرورة توجيهها وضبطها، حتى لا تحيد بصاحبها عن الجادة فتصير مصدر طغيان وكفر.

وهنا تبتدئ أثر التنشئة العقدية في توجيه هذه الطاقة نحو مكامن الخير، وذلك بتفتيح العقل وتبصير الفؤاد بنعم المنعم ﷻ، وهو القائل – سبحانه –: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾** ﴾[(٢)].

وبما أن النفس مفطورة على حب من يغمرها بالإفضال والإحسان، لزم تعريف الطفل بنعم الله وآثار ذلك عليه، فيثمر ذلك حبا وارتباطا بالله، ولا يتأتى ذلك إلا

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ج ١ ص ٢٥١.
(٢) لقمان / ٢٠.

بالتعرف إلى الله، ومعرفة قدرته باتباع آثارها في خلقه، وخلق قوة إيمانية تلائم ما منحه من طاقات واستعدادات، وعلى الوالدين تقوية حب الله وحب رسوله بنفس طفلهما، باعتبارهم النموذج الأعلى لطفلهما، كما أن حبهما يحرك ويوجه نفسه لما يحبانه، وتقوية هذا الحب يكون بإشعار الوالدين الطفل بمحبة الله إثر كل عمل صالح يوجب محبة الله، وإثر تركه لكل عمل فاسد يورث مقت الله – سبحانه –، وإذا بلغ الطفل هذه المحبة، مهدت لتقوية وترسيخ المبادئ والمفاهيم الإيمانية، وأثمرت تطبيقات وسلوكيات إيمانية، كما أن توجيه قوة الحب الوجهة الصحيحة، وتفريغها فيما يورث السعادة والاطمئنان، فإنها تطوع باقي القوى لما فيه صلاح حاله ومآله.

وفي مقابل توجيه طاقة الحب عند الصغير توجيها إيمانيا، في الآن ذاته توجه عاطفة الكره عنده توجيها إيمانيا، بتوجيهه إلى "كره الشيطان وأتباعه، والشر الذي ينشئه الشيطان وأتباعه على وجه الأرض، وبهذه الطريقة لا يتحول الكره إلى طاقة سامية مبعثرة لنشاط الإنسان وفي الوقت ذاته يتحقق بها كيان إيجابي للفرد حين يعمل في واقع الأرض لمقاومة الشر"(١).

وفي مقابل توجيه عاطفتي الحب والخوف توجيها إيمانيا، يوجه خوفه الفطري المجبول عليه إلى الخوف الإيماني، فيوجه أولا إلى إدراك حقيقته، حتى يزاح عن كاهله كل خوف زائف لا طائل من ورائه، ويدل على الخوف الصحيح وهو الخوف من القوي الجبار. الذي تورث مخافته في نفس الطفل مسارعة إلى فعل الخيرات وتجنبا للسيئات، فينشأ حرا لا تعبث به المخاوف الكونية الزائفة، بل ينشئ وقلبه ملأ خشية

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ج ١ ص ٢٥٢.

وثقة بباريه – سبحانه –، فتطبع إرادته الحرية، ويغشى حياته الآمن.

وسبيل ذلك تعريف الطفل بالله – تعالى– من جهة صفات القوة والقهر والقدرة والعزة والعدل، فإن الخوف الحامل إلى العمل، هو المنبعث عن العلم بالله – تعالى– وبصفاته...دون إسراف في التخويف إلى حد يعود باليأس والقنوط من رحمة الله، ولا تفريط فيه إلى درجة الأمن من عذاب الله، بل التوسط فيه بحيث يكف عن الاجتراء على المعاصي وإتيانها، وضبطها بضابط الطاعة(١).

*__القصة القرآنية__: للقصة دور في التأثير والتربية والتعليم، فهي "وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها"(٢).

فالقصة القرآنية ترجع أهميتها كوسيلة في تنشئة الطفل تنشئة عقدية لما تحققه من البيان في التبليغ، والإقناع والتأثير في نفسية الصغير، وإذا كان القصص القرآني يهدف إلى إثارة الفكر الإنساني، ودفعه إلى التفكر والتدبر وأخذ العضة﴿ **فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(٣) ومما حل بتجارب الأمم السابقة ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾** ﴾(٤).

وعلى القائم بتنشئة الطفل عند استعماله القصة لتبليغ معلومة أو إذكاء معارفه

(١) ثقافة الطفل المسلم، مفهومها وأسس بنائها، أحمد عبد العزيز الحليبي، إشراف: محمد رأفت سعيد، ص ٢٤٢.
(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص ١١٧.
(٣) الأعراف / ١٧٦.
(٤) يوسف / ٣.

الإيمانية، أن يراعي تأكيد كل هدف لأجله سيقت القصة في النص القرآني، فلا يعتمد السرد القصصي فحسب لجذب انتباه الطفل قصد إلهائه، وتفريغ القصة من أغراضها التي حكيت لأجلها، بقدر توجيهه إلى ما يستخلص من العبر والعظات الإيمانية الأخلاقية.

وحتى يتحقق من القصة القرآنية الأغراض الرامية لها، ينبغي للمربي أن يعمل على شد انتباه الطفل، وإدخاله في عملية السرد لحبكة القصة، قصد تشويقه إلى الوصول إلى حل عقدة الحبكة ومعرفة نتائجها، وفي كل مرحلة من مراحل سرد القصة يعمد إلى توجيه الصغير إلى المبادئ التي تثيرها القصة بغية الإيمان بها، والاقتناع بها إثر دفعه إلى التفكر والتأمل وربط الحوادث بالنتائج فتتفاعل الإثارة الوجدانية في نفسه، وكلما كانت الحجة قوية وظهر البرهان على حقيقة ما ترمي له القصة، كلما توطد الإيمان العقلي المنطقي بأغراضها، وكان ذلك تحفيزا للطفل للاقتداء بأبطالها واقتفاء أثرهم.

ونافلة القول أن القصة القرآنية وسيلة لها أثر كبير في تأكيد الأصول الإيمانية، وتوضيح الروابط الإنسانية الأخلاقية في التنشئة العقدية. كما أنها تمثل الأهداف التربوية تمثيلا واضحا بعيدا عن الخرافة والأسطورة، فالشخصيات التي تدار حولها القصة القرآنية شخصيات واقعية، وهي بذاك تمنح المربي مواقف وشخصيات واقعية لأحداث واقعية ترمي إلى الوصول إلى قناعات وحقائق واقعية، بعيدا عن الخيال والرمزية والأسطورة.

*__ضرب المثل__: يستهدف من هذه الوسيلة تقريب غير المحسوس للعقول حتى تستوعبها، وتجسدها في مثال حي محسوس، مما يكون له أثر بليغ على مكنونات النفس وتتجلى أهمية المثل في الكلام لما تثيره في السامع وقلبه من آثار، ولما تجلوه من المعاني

والشواهد، يكون له وقع في النفس وما توافق به العقول، وبذاك يتضح أهمية ضرب المثل في التنشئة العقدية للطفل؛ إذ تسهل على الصغير استيعاب ما استصعب بيسر، متى توفر أسلوب التبليغ الصحيح، وما ينبغي في طرحها من لين في الأسلوب حتى يجذب فكره جذبا فتؤثر في نفسه، فتحرك أشجانه وتوجه عواطفه وتفكيره إلى المنحى الصحيح لاستجلاب الحق والصلاح.

* **النظر في آيات الآفاق والأنفس**: النظر في آيات الآفاق والأنفس من أجدى الوسائل المؤدية إلى ترسيخ الإيمان بالله، وأوثقها دليلا على اتصافه - سبحانه - بأوصاف الكمال، وتنـــزيهه عن صفات النقص، ووجوب تفرده في الألوهية، فالنظر في آيات الآفاق والأنفس السهل المنبسط الموصل إلى معرفة الله ﷻ.

وقد استعمل القرآن هذه الوسيلة بدفع الإنسان إلى النظر في آيات الكون، وعجيب الخلق في الأنفس، ودعوته إلى التأمل والنظر إليها والتفكير فيها وتبصر وتقفي آثارها، وذلك للانتقال من النظر إلى بلوغ العلة من وجودها، للوصول إلى معرفة الله وبناء الإيمان اليقيني الثابت، هذا الإيمان الذي تتفرع عنه كل مسائل العقيدة، "ولذلك فإنه بقدر ما يكون الإيمان بوجوده - تعالى- متأسسا على أساس متين من اليقين بقدر ما يكون الإيمان بالعقيدة الإسلامية عامة قائما في النفس موقع الثبات والرسوخ"(١).

والنظر في آيات الآفاق والأنفس هو السبيل إلى تفتيح البصائر والعقول بغية التمسك بمنهج الله، نتيجة ما يحققه هذا الاستدلال من اتصال وثيق بالله الخالق المدبر، ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ

(١) الإيمان بالله وأثره في الحياة، عمر النجار، ص ٦٩.

﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[(١)] .

ولهذا كانت هذه الوسيلة من أقوم الوسائل في تثبيت دعائم البناء الإيماني للطفل، من خلال دفعه إلى مشاهدة آثار خلق الله في آيات الآفاق والأنفس، مما يجعل إيمانه بالخالق – سبحانه – مبني على علم، ومعلوم أن الطفل في مراحل عمره الأولى، تكثر أسئلته واستفساراته رغبة في معرفة الأسباب وإدراك المسببات، ويظهر ضجره ورفضه للغموض والإيهام وهذا الميل لمعرفة كنه الأشياء يظهر عنده "منذ صغره بدءا من مرحلة الرضاع التي يحاول أن يستطلع منها بعينه وأذنيه وفمه الأشياء القريبة، فإذا ما نما واتسع عالمه، وبدأ يدرك الأشياء، فإن هذا الميل يزداد عنده، ويمتد إلى البحث عن أمور تتعلق بالغيب مثل الرغبة في معرفة علل الحوادث الكونية المشهودة"[(٢)].

وحتى تحقق هذه الوسيلة الهدف المرجو من ورائها، وجب على القائمين بتربية الطفل أن يسطر له برنامجا خاصا يبتغي من ورائه توجيه نظر الطفل لمشاهدة خلق الله في الكون، بتنظيم رحلات وخرجات في مناكب الأرض، للنظر إلى دقة وتناسق خلق الله الدال على قدرته ثم بوضع برامج تعليمية علمية يكون الغرض منها إيضاح مكنونات الخلق، وكيفية عمل جسم الإنسان وكيف أن الخالق أوجده، ثم إبراز العناية الإلهية بالإنسان وكيف أن الخالق – سبحانه – سخر كل الإمكانات لحمايته وحفظه. واستغلال الوسائل العلمية الحديثة لذلك وتقريبها لفهم الصغير، ثم دفعه لاستنباط

(١) آل عمران / ١٩٠ – ١٩١.
(٢) ثقافة الطفل المسلم، مفهومها وأسس بنائها، أحمد عبد العزيز الحليبي، إشراف محمد رأفت سعيد، ص ٢٤٩.

النتيجة القائمة على البرهان والدليل على عظمة الخالق وإثبات وحدانيته ﷻ.

ومن آثار هذه الوسيلة أنها تربي عقل الصغير منذ حداثة سنه على سعة الأفق، واستطلاع أسرار الخلق، بالتأمل في دقة وإتقان خلق المخلوقات وخلقه، وكل ذلك يقوي غريزة التفكر ويدفع إلى سبر أغوار حقائق الخلق في الآفاق والأنفس وتفتيح البصائر على دلالتها وغاياتها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تربي تفكير الطفل على استخلاص النتائج من تلك الآيات، بإحكام النظر للاستدلال والبرهنة على معرفة الحق، والدود والدفاع عنه مهما قوية حجة المخالف، ومهما تعددت وتنوعت الوسائل لتزييفه بالنفس.

* **المحاورة**: المقصود بالمحاورة المحادثة، بتجاذب أطراف الحديث بين طرفين أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، يكون الغرض من ورائه الوصول إلى نتيجة.

وترجع أهميتها عموما إلى تبادل وجهات النظر، "وتلاقح الآراء، ويعطي كل طرف حرية طرح رأيه أو فكرته، وفرصة الرد والمناقشة، وعادة ما تتسم المحاورة بالهدوء والرزانة، وهي تسعى إلى إيضاح مفاهيم خاطئة، أو أمور غامضة، أو أسئلة حائرة، لا يجد لها أحد المتحاورين أو كلا منهما إجابة "(١).

وتعد هذه الوسيلة من أرقى وسائل التأثير في تربية الطفل، فالسمة المميزة للطفل إثارته للعديد من الأسئلة التي لا حصر لها، خاصة في ما يتعلق بجانب الإيمان والعبادة، كمن أين أتيت؟ وكيف يتم كذا؟ وكيف هو الله ؟ وأين هو؟ ولماذا......؟ إلى غيرها من التساؤلات التي يقف عادة الآباء أو القائمين بعملية التنشئة، أمامها بين ذهول

---

(١) الإقناع في التربية الإسلامية، سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار، ص ٩٠.

وصعوبة في إيجاد إجابة، ورهبة من مدلولاتها، والأمر الذي ينتج عنه عادة قمع الطفل، وترهيبه من طرح مثل هذه الأسئلة وتسيجها بسياج التخويف والمنع، مما يخلق بداخل الطفل كبتا يدفعه إلى الرضوخ أمام سلطة المربي، لكن هذا المنع المحفوف بالزجر تكون له انعكاسات سلبية في تأسيس قناعاته الإيمانية.

على العكس من ذلك على المربي أن يكون واعيا بأهمية ما يختلج بذهن الصغير من أفكار، تأتي ترجمتها في زمرة من الأسئلة، هذه الأسئلة التي تكون هي الأرضية لخلق حوار يرمي إلى تقويت ركائز الإيمان بنفسه، ثم بتهذيبها بأسئلة يلقيها المربي على الصغير يكون الغاية منها، تحريك عقل الطفل ووجدانياته لإيجاد الإجابة المقنعة ومساعدته في بلوغها، مع مراعاة التيسير واللين.

وعلى المربين والقائمين بالتربية التنبه إلى قدرات الطفل العقلية وإمكاناته على الاستيعاب والفهم، عن طريق التدرج به في منازل الحوار من البسيط إلى الأصعب، والتخلي عن الفكرة السائدة أن إدراك الطفل وطاقاته العقلية بسيطة، وأحيانا يجعلها البعض معدومة، مما يجعل من عملية التنشئة مجرد إملاءات وتلقين يفتقد إلى الأساليب التي تظهر طاقاته، وكل ذلك مرده إلى غياب المحاورة في التربية.

المبحث الثالث: ركائز حماية وتحصين الطفل في ظل التنشئة العقدية

تعمل التنشئة العقدية الأخلاقية على تحصين الطفل، من خلال اعتمادها على الركائز التالية:

١ – بناء العقل المسلم: احتل الإنسان مكانة وتميزا بين الخلائق، بما وهبه الله ﷻ من نعمة العقل، فكان أصل تميزه وتكريمه، ويكفي شرفا أن الله ﷻ مدحه في كتابه،

وأثنى على ذوي العقول المنتفعين بعقولهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾(١)، فالعقل هو الوسيط الذي يبني المعرفة اليقينية بحقائق الوجود ومجريات الأحداث، وسبر دلالات ومقاصد الآيات، ولهذا أكد الخطاب القرآني استعمال العقل، كاعتباره قوة إدراك فطرية، تؤسس للحقائق على أساس المنطق التسلسلي الاستدلالي البرهاني.

على أن العقول في عملية النظر والبحث والتدبر، وإقامة البراهين من أدلتها، قد تغشاها الأباطيل فتحيد عن الحق. ولذلك فإن في عملية تربية الطفل، على أساس التنشئة العقدية الأخلاقية، يستهدف تحصين الطفل وحمايته من غبش الضلالات والهوى، التي تميز العقول الضالة، وذلك بالعمل على بناء عقل الأطفال المسلمين بناء إسلاميا وتكوين عقليتهم، "لتصبح عقلية علمية إسلامية بحيث ينظرون إلى الكون وما وراءه وإلى الحياة وما بعد الحياة بالمنظار الإسلامي، فيستطيعون رؤية الحقائق العلوية المعنوية والسفلية المادية، وكلما ازداد نموا من الناحية العقلية والعلمية يستطيعون رؤية الحقائق أكثر ورؤية أدلة الله على الكون أكثر ثم يزدادون إيمانا ورسوخا في العقيدة وتحمسا لها ودفاعا عنها وتضحية في سبيلها"(٢).

٢ – التحرر من القيود الأرضية: تلك القيود التي تضغط من حرية الإنسان،

(١) البقرة / ١٦٤.
(٢) جوانب التربية العقلية والعلمية في الإسلام، مقداد يالجن، ص ٦٢.

وتقزم من إمكاناته وقدراته، ذلك أن التحرر المتداول في العقلية الراهنة ينـــزع إلى البحث عن المتع والجري وراء الشهوات، والتخفف من القيود الأخلاقية، والتمرد على النظم والسنن التي تؤطر حركة الحياة، فبحث الإنسان الحثيث عن حريته جعله يضل في الفهم الحقيقي لمفهوم الحرية، وينظر إلى الحياة من الزاوية الضيقة فيها والتي تزيد حياته قيدا فوق قيد، ثم تزيده بعدا عن سبل السلام. "فعندما يكون الإنسان واعيا بحريته وعيا حقيقيا، فإنه في الوقت نفسه يصبح مقتنعا بوجود الله، فالله والحرية لا ينفصلان،.. فإذا كان الوعي بالحرية ينطوي على وعي بالله، فيتبع ذلك أن يوجد علاقة بين إنكار الحرية وإنكار الله"[(١)].

لذلك تجد التنشئة العقدية تحرره من القيود الأرضية، وتأخذه إلى التسامي نحو المعنى الحقيقي للحرية، الحرية التي تقام على العبودية الخالصة لله، وتورثه الشعور بالتميز والانطلاق والتحرر من أوهاق المادة.

فتعين الصغير على اكتشاف مهاراته، وتعرفه على قدراته، وتبصره بالغاية من إيجاده، فتزكو فيه النفس الإيجابية التواقة إلى نشر الخير في كل بقاع الدنيا.

وهذا التحرر الإيماني هو الدافع إلى التفوق والنجاح، في الحياة الدنيا والآخرة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[(٢)].

والتحرر من القيود الأرضية لا يتأتى إلا بالعلم الذي يحرر من قيود الجهل والخرافة،

(١) الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، ص ٥٧.
(٢) الزلزلة / ٧ – ٨.

فيحميها من التحريف، وذلك بحفظه من الدعاوي المكرسة للتخلف، والموطدة لمفهوم العجز والخذلان الذي لا يليق بحامل منهج الله في الأرض، بل يعمل العلم على توضيح المفاهيم وتقديمها في إطارها الصحيح.

٣ – الوقاية من المناهج المضلة: من الملاحظ أن الطفل في مرحلة الإعداد في البلدان المسلمة، تتضاربه المناهج غثها وسقيمها في ظل الانفتاح الإعلامي، وفي ظل أخطبوط العولمة التي تلقي بأضلعها على كل قضايا الأمة، مترسمة في ذلك خططا بعيدة المدى، خاصة في مجال التربية، هذا المجال الحساس الذي عليه يعول لإخراج الأجيال المؤمنة الصالحة.

وهو الأمر الذي لا يلقي له أحد من القائمين على تنشئة الصغار بالا، على العكس من ذلك نجد المربين في غير الدول الإسلامية، يحرصون حرصا شديدا على ألا يأخذ الصغير في مرحلة الإعداد إلا ما يدعم مقوماته الدينية والثقافية.

ولخطورة انفتاح الطفل على المناهج الذي تضلل فطرته، وهو ما دل عليه فعل النبي ﷺ في مرحلة تكوين العقلية الإسلامية، وفي مرحلة تقعيد قواعد المجتمع الإسلامي، حيث حذر الصحابة من مغبة انفتاحهم على قراءة الكتب السماوية الأخرى، فعن جابر أن عمر أتى النبي ﷺ بكتاب، فقرأه عليه فغضب، وقال: "**لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق فتكذبوا به**"(١).

وإذا كان هذا الخطاب والتحذير زامن مرحلة الإعداد والتكوين، فالأجدر اتخاذه

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ: لا تسألوا أهل الكتاب من شيء، حديث رقم ٧٣٦٢.

وسيلة لحماية الطفولة وتحصينها تحصينا عقديا، من المخاطر الدائرة التي تترصد مسخ الفطرة وتشويهها بنفس الطفل، "لأن الطفولة تمتص هذه العوائد والمفاهيم والقيم، تمتص ما لا ينطق به الأبوان أو المجتمع، مما يستنبطه الطفل من الأذواق والاستحسان والانفتاح لأمور كثيرة لا يشعر بها الطفل، وإنما يتشربها تشربا، ويوحى بها إليه إيحاء، مما يؤثر في سلوكه في كبره دون إرادة منه، ولا سيما في اللحظات التي لا يتيسر فيها إعمال الرأي، وفي اللحظات الحرجة التي ينبغي فيها أن يتخذ قرارا، أو يختار أمرا، فهنا عوامل السوابق التاريخية الماضية تؤثر في اتخاذ الاتجاه المعين؛ لأن دخل الإرادة فيه قليل أو منعدم"(١).

* * *

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودة سعيد، ص ١٣٨.

الخاتمة

وفيها أسجل أهم النتائج التي توصل البحث إليها، وهي:

١- إن المنهج الإسلامي في التنشئة العقدية للطفل المسلم، يجعل من هذه الأخيرة عملية ممنهجة لإعداد وتربية الناشئ المسلم، من منطلق العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٢- المنهج الإسلامي هو الموصل إلى المعرفة اليقينية في إثبات وجود الله ووحدانيته -عز وجل-، ذلك أن العقيدة الإسلامية عقيدة إيجابية متحققة، وإيجابيتها تتجلى في أنها ليست مجرد دعاوي للإيمان بالله، بل هي متحققة في واقع الحياة وأساس الفلاح في الدنيا، والجزاء في الآخرة.

٣- لا يتحقق المبتغى من التنشئة العقدية، إلا بتحققها في واقع الحياة وتجليها في كل جانب من جوانبها، ولا يمكن ذلك إلا بإنشاء أجيال تكون الدعامة الأساسية لتربيتهم وتنشئتهم تنشئة عقدية إيمانية، ولذا تبقى المرحلة المثالية من عمر الإنسان المسلم لغرس غراسها بنفسه، مرحلة طفولته؛ إذ هي مرحلة البراءة والفطرة السوية التي لم تصلها يد التشويه والتحويل بعد. وهذا ما أثبتته نصوص المنهج الإسلامي في حثها على العناية بالطفل، وتوجيه البصائر إلى حماية وتحصين معتقده الإيماني.

٤- الإسلام أولى أولوية عظيمة للطفل، وجعل حبه من الأمور التي جبلت عليه النفوس، ففي الآن ذاته وضع المنهج الإسلامي تصورا شاملا لكيفية تنشئة الطفل تنشئة عقدية أخلاقية، يعتمد من خلاله على تحصينه وحمايته من كل ما من شأنه التأثير في فطرته السوية.

٥- وأخيرا: يعتمد المنهج الإسلامي لتنشئة الطفل تنشئة عقدية أخلاقية خطوات روعي فيها خصوصيات كل مرحلة من مراحل الطفولة؛ ولهذا اعتمد المنهج الإسلامي خطوات ممنهجة تمكن تحققه في تربية الصغار، والذي لا بد للقائمين على ذلك من فهمه وتتبعه في عملية تنشئة الطفل المسلم، الذي هو رجل الغد وحامل لواء الإسلام.

والحمد لله رب العالمين

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١. **المصحف الكريم برواية حفص.**

٢. **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر / سوريا، الطبعة الأولى ١٣٩٩ / ١٩٧٩.

٣. **الإسلام بين الشرق والغرب**، علي عزت بيجوفيتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، مجلة النور الكويتية / الكويت، مؤسسة بافاريا للنشر ألمانيا، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤. **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي / بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧.

٥. **الإقناع في التربية الإسلامية**، سالم بن سعيد بن مسفر بن جبار، دار الأندلس الخضراء – جدة / م . ع . س، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦. **التصوير الفني في القرآن**، سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، الطبعة السادسة سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٧. **التحرير و التنوير**، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون / تونس، د:ر ط، د:ت.

٨. **التربية الأخلاقية الإسلامية**، مقداد يالجن، دار عالم الكتب – الرياض / م .ع. س، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

٩. **المعجم الوسيط** ، إبراهيم أنيس، د: اسم الدار، د: ر ط، د:ت.

١٠. **بيت الدعوة**، رفاعي سرور، دار الولاء الإسلامي، الطبعة السادسة، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تح: عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١١. **تاج العروس من جوهر القاموس**، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تح: إبراهيم الترزي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت ــ لبنان، طبعة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م.

١٢. **ثقافة الطفل المسلم**: مفهومها وأسس بنائها، أحمد بن عبد العزيز الحليبي، إشراف: محمد رأفت سعيد، دار الفضيلة / الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣. **جوانب التربية العقلية والعلمية في الإسلام**، مقداد يالجن، مجلة المسلم المعاصر، بيروت / لبنان، العدد ٣١ رجب ١٤٩٢ هـ - ١٩٨٢م.

١٤. **حتى يغيروا ما بأنفسهم**، جودة سعيد، دار الفكر المعاصر / بيروت – لبنان، الطبعة السابعة، سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

١٥. **حاشية البناني على شرح جلال شمس الدين أحمد المحلى على متن جمع الجوامع**، للإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ج ١ / ص ١٥٣ – ١٥٢.

١٦. **سنن ابن ماجه بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي**، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة / لبنان – بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

١٧. **صحيح البخاري،** لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الحديث / القاهرة، بـــ: ط، سنة ١٤٢٥ هـــ - ٢٠٠٤.

١٨. **صحيح الأدب المفرد للبخاري،** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل/ م ع س، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٨ هـــ - ١٩٩٧ م.

١٩. **صحيح مسلم** بشرح الإمام محيي الدين النووي، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة / لبنان — بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٨ هـــ - ١٩٩٧ م.

٢٠. **علم النفس التربوي في الإسلام،** مقداد يالجن ويوسف القاضي، دار عالم الكتب، سنة ١٩٩٧.

٢١. **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** أحمد بن حجر العسقلاني، تح عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية / لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٨ هـــ / ١٩٩٧ م.

٢٢. **قطر المحيط،** بطرس البستاني، مكتبة لبنان، د: ر ط، د:ت.

٢٣. **لسان العرب،** أبي الفضل بن منظور، دار صادر / بيروت — لبنان، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤ هـــ - ١٩٩٤ م .

٢٤. **مجموع الفتاوى،** شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد / المدينة المنورة ، د: ر ط، سنة ١٤١٦ هـــ / ١٩٩٥ م.

٢٥. **معجم مفردات ألفاظ القرآن،** الراغب الأصفهاني، نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، د: ر ط، د: ت.

٢٦. **معجم المصطلحات الحديثة في علم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة**، سمير سعيد حجازي، دار الكتب العلمية / لبنان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٥.

٢٧. **معجم محيط المحيط**، بطرس البستاني، مكتبة لبنان، د: ر ط، د:ت.

٢٨. **مناهج البحث العلمي**، بدوي عبد الرحمن، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٧٧، وكالة المطبوعات شارع فهد السالم الكويت.

٢٩. **منهج التربية الإسلامية**، محمد قطب، دار الشروق القاهرة، الطبعة السابعة، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

* * *